ملخص بحث:

"أثر وسائل الاتصال الحديثة في التنمية الثقافية عند الطفل"

بقلم: شفاء مأمون ياسين
مدرسة في معهد اللغة العربية/جامعة زايد

موضوع تأثير وسائل الاتصال على تنمية ثقافة الطفل قديم حديث، قديم باعتبار أن الوسائل القديمة التي كانت متاحة قليلة بل محدودة، وحديثة باعتبار أن الوسائل المتوافرة متطورة ومتجددة ومتنوعة ومختلفة، والحديث فيها شائق وجاد، وكلما تطورت وسيلة أو تجددت أو اكتشفت فإنها تؤثر تأثيراً قوياً في الإنسان لا سيما الطفل الذي يقف عاجزاً أمام هذه الوسائل التي يبذل من أجلها الغالي والنفيس، فهي تجذبه وتبهره وتثيره، وتسيطر على كل حواسه، بل تكاد تفقده توازنه وعقله، فينجرف وراءها بلا وعي، مسايراً إياها، منقاداً إليها، متعاملاً معها وكأنه مقتنع بما يقوم به بكل أريحية، يمتع نفسه، ويملأ وقت فراغه، ويقنع نفسه بأنه من فئة مثقفة يستطيع التعامل مع هذه الوسائل، ويحاول إثبات ذاته من خلال استخدامها، بل يعد شخصيته من طبقة اجتماعية رفيعة نظراً لتمكنه من الحصول عليها والتفاعل معها... ويعتقد الطفل أن هذه الوسائل كلها إيجابيات، وحرمانه منها سلب لحريته، وسيطرة على شخصيته، وتحديد لرسم ذاته، دون أن يعي أخطار هذه الوسائل التي ما فتئ بعضها يدس السم من خلالها، والطفل لا يعي كل تلك الأخطار التي لا يحمد عبقاها إن لم يحسن استعمالها والتعاطي معها...

إن هذه الدراسة قد تفتح آفاقاً واعدة أمام المهتمين بالتنمية الثقافية لدى الطفل وتأثير وسائل الاتصال الحديثة فيها، كما أنها قد تضيف جوانب جديرة بالاهتمام في مجال الطفل، وتسد فراغاً في مكتبته التي طالما نادينا بالاهتمام بإثرائها وإغنائها... ويحاول هذا البحث تسليط الضوء على: مفهوم وسائل الاتصال الثقافية القديمة والحديثة لدى الطفل، وبيان أنواعها. كما أنه يرصد تطور وسائل الاتصال الثقافية على اختلاف أنواعها: القديمة (التقليدية) والحديثة، ويقارن بينها ويوازن، ويقوم بتقييمها. ثم يختتم ببيان النتائج، وذكر التوصيات.

ويفيد البحث من الدراسات السابقة، ويذكر بأهميتها، وينبه على ضرورة استمرارها، ويضيف بعض الآراء التي يمكن أن تسهم في المضي قدماً من أجل: الإرشاد والإصلاح والبناء والتطوير على أسس سليمة قادرة على المساهمة بشكل فاعل في التنمية الثقافية عند الطفل.

"أثر وسائل الاتصال الحديثة في التنمية الثقافية عند الطفل"

غيرت وسائل الاتصال الحديثة الكثير من أمور حياتنا اليومية، وجعلت العالم يبدو قرية صغيرة؛ لأنه أصبح زاخراً بوسائل التكنولوجيا الحديثة، وبات عالم الأطفال مليئاً بكلّ ألوان التقنيات الحديثة، وقد شهد عالمنا العربي تغيرات وتطورات عدّة خلال العقود القليلة الماضية، ضمن تطورات العالم من حولنا، وبدأت المجتمعات والأسر العربية تواجه تحدّيات جديدة في هذا العصر، وبدأت تظهر تطورات لم نكن نسمع بها من قبل. وقد تعدد مفهوم التقنيات الحديثة، فهناك من عرفها بأنها: "وسائل أو مخترعات حديثة ظهرت في المجتمع؛ لتحسين معيشة الناس وخدمتهم". وهناك من عرفها بأنها: "العلم التطبيقي أو الوسائل والأدوات المخترعة المستخدمة لرفاهية ومعيشة الناس، وتهدف إلى المساعدة على

تغير الإدراك الحسي لدى المدعوين للمساعدة على زيادة الفهم، وتنمية الميول الإيجابية للمدعوين من خلال كبار الدعاة المتمكنين والمختصين تخصصات علميّة واستعمال التسجيلات السمعية والتلفزيون والنت والأقراص وغير ذلك".
(الزميلي، زكريا إبراهيم، بحث بعنوان الإيجابيات والسلبيات في استخدام التقنيات الحديثة، 2010،ص3). أو أنها تلك الوسائل الإلكترونية التي تستخدم في المجالات المختلفة؛ لإيصال المعلومات من خلال استخدام الأجهزة الالكترونية.
فوسائل الاتصال الحديثة إذاً هي: تلك الوسائل التي لم تكن معروفة في غالبها سابقاً، وهي وسائل تقنية تعنى بتقديم خدمات للإنسان في مجالات كثيرة، وهدفها التسهيل، وتقريب المسافات، وكسر الحواجز، وتصغير العالم الكبير، إلى جانب التواصل؛ لنقل معلومات من جهة إلى أخرى بأيسر السبل، وأسهل الطرق.
لاشك أن وسائل الاتصال الحديثة قد غيّرت مجرى الحياة من جميع مناحيها بشكل كبير، وبنسب قد تكون متفاوتة، ومنها ما يسعى دون كلل أو ملل إلى النهوض بالعالم الإنساني إلى الأحسن والأفضل على أسس علمية، ونظم دقيقة، وتحاول أن يكون ذلك دون أخطاء؛ لأنها تتوخى الدقة في كل المجالات لا سيما العلمية والطبية منها. ونحن ههنا لا يتسع بنا المجال إلى تناول كل أنواع هذه الوسائل ومجالاتها الواسعة التي يعجز البحث في الوقت الحاضر عن حصرها في صفحات قليلة؛ ذلك أن طبيعة بحثنا يسعى إلى بيان أثر هذه الوسائل في التنمية الثقافية عند الطفل إيجاباً أو سلباً؛ لأنه حري بنا أن نرصد هذه الظاهرة ما أمكن، وندرس تأثيراتها؛ لما لها من أثر مهم بل خطير؛ لما نشاهده من انعكاسات على أبنائنا الذين لا يملكون حولاً ولا قوة أمام هذه القوة الهائلة التي تجرف كل شيء يواجهها إن لم يكن مسلحاً بجميع طرق السيطرة عليها، ومعرفة كيفية استخدامها، لا سيما التمييز بين الإيجابيات والسلبيات، والفوائد والمخاطر، وإدراك أبعادها بكل معنى الكلمة، فهي سيف ذو حدين، وعلينا التنبه إلى كل ما من شأنه أن ينعكس على الطفولة البريئة بالضرر، لا سيما أننا نعيش في أمة مستهلكة لا صانعة، وهذا يعني عدم معرفتنا بما وراء الأكمة، وعدم إدراكنا الحقيقي لكشف السر وراء هذا التنافس والتسابق في تطوير هذه الوسائل وتحديثها.
أما مرحلة الطفولة فأعني بها: تلك المرحلة التي تبدأ من لحظة الولادة إلى سن البلوغ وهي الثامنة عشر، كما حددها الباحثون.(معوض، موسى نجيب موسى، الطفولة تعريفات وخصائص، تم الاسترجاع 24-11-2013).

<u>وسائل الاتصال بين الماضي والحاضر:</u>

كانت بداية القرن التاسع عشر الميلادي تؤذن بثورة تكنولوجية عظيمة، وقفزة نوعية لا مثيل لها في التاريخ، فقد ظهر فيه اختراع البرق الكهربائي الذي يُرسل الرسائل عبر الأسلاك في ثوان، وتوالى ظهور أجهزة برق متعددة (التلغراف) (Telegraph) خلاله، وفيه أيضاً تم اختراع التصوير الذي أخذ يتطور بصورة هائلة. وفي أواخر هذا القرن اخترع (غراهام بل) الهاتف (Telephone)، والآلة الكاتبة (Typewriter)، واخترع (توماس أديسون) الحاكي (الفونوغراف) (Phonograph) تسجيل الصوت على أسطوانة مغطاة بطبقة فلزية رقيقة، ثم توالت الاختراعات باستخدام قرص بدلاً من الاسطوانة، كما أن السينما ظهرت في القرن نفسه. وظهر المحرك البخاري، ثم الأقراص المرنة، فمسارح خيال الظل، إلى أن ظهر الراديو، وآلة الفاكس، وغيرها من التقنيات الأخرى. وما أن انتهى ذلك القرن حتى تلاه القرن العشرين الذي يعد ثورة تكنولوجية حقيقية يمكن تسميتها بـ: "العصر الإلكتروني"، من ذلك: المذياع الراديو (Radio) والتلفاز (Television) الذي ظهر بعدئذ، إذ يعد أهم وسيلة اتصال مؤثرة على جميع المستويات، ثم ظهر جهاز آخر يرافق التلفاز هو الفيديو(video)، وهو الجهاز الذي حرص عليه كثير من الآباء؛ لتسجيل بعض البرامج لأبنائهم كي يشاهدوها في أي وقت يناسبهم، حرصاً منهم على تنمية ثقافة أبنائهم وتسليتهم في الوقت نفسه ضمن رقابة الأهل وتوعيتهم... ثم تطور هذا الجهاز؛ ليصبح أصغر حجماً، وأسهل استعمالاً، وأكثر انتشاراً، وأعم فائدة، فظهر الحاسوب بكافة أشكاله وأنواعه.

ونلاحظ أن هذه الوسائل لم تكن تعنى بالطفل بشكل يبعث على الاطمئنان، وما كان يصدر في تلك الكتب أو الصحف أو المجلات يخدم مصالحها نفسها ويعود عليها بالنفع. إذاً نحن أمام ظاهرة لا تكاد تكون مميزة بالنسبة للطفل، ولم يكن لها خطورة كبيرة، إلا ما ورد في تلك الوسائل بقصد أو بغير قصد يؤثر على سلوك هؤلاء الأطفال؛ لأنها لم تكن متوافرة بشكل كبير، والحصول عليها مكلف، ولم تكن أساسية في ذلك الزمن، إذ لم يحرص الناس على اقتنائها، ولم تكن من الوسائل التعليمية التي يعتمد عليها في المدارس بشكل أساسي. ويمكننا استنتاج أن الطفل لم يكن مستهدفاً في تلك المرحلة، ولم يكن في تلك الأولويات التي يسعى إليها المصنعون؛ لأسباب كثيرة، ليس البحث بصدد بيانها، سوى أن

نقول: إن الصناعة والاختراع لم يكونا على المستوى الذي يؤهل الشركات إلى التفرغ للاهتمام بالطفل بشكل كبير، وإن كانت تلك الاختراعات تعد إرهاصات مبكرة لظهور المزيد منها وعلى مستوى تقني عال، كما سنرى. وهذا يجعلنا نقول بكل اطمئنان: لم تكن هناك خطورة واضحة من وسائل الاتصال في هذه المرحلة، ولم يكن لها الأثر الفاعل في حياة الطفل، سوى ما كان يرد في الكتب المدرسية. أما ما يقع في يد الطفل من هنا أو هناك فهذا بسبب الإهمال، أو بسبب أهداف بعض الشركات التي لا يردعها رادع، ولا تقيم وزناً لعادات أو قيم أو أخلاق...

وفي النصف الثاني من القرن العشرين تنوعت وسائل الاتصال الحديثة في هذا العصر شيئاً فشيئاً فظهرت: الفضائيات، والشاشات الإلكترونية، والحواسيب، والشبكة العنكبوتية، والهواتف الذكية، والألعاب الإلكترونية، وأفلام البعد الثالث، والجدير بالذكر أن الذي أسهم في ظهورها تلك الأقمار الصناعية التي كان لها الدور الكبير أيضاً في نقل الرسائل والاتصالات الأخرى بطريقة مذهلة، ثم توالت الاختراعات في كل سنة، بل في كل لحظة، ثم أخذت الشركات الكبرى تتنافس في اكتشاف برامج ذات صلة بهذه الاختراعات، كالإنترنت (Internet)، والمواقع الإلكترونية (sites)، والإيميل (E-mail)، والفايبر(Viber)، والوتس أب...(WhatsApp) والسكايب (SKYPE) وغيرها ---- وأغلبها مجاني، لكنه يستلزم شراء جهاز مناسب، يُحمّل هذه البرامج، وهي مرهونة بضرورة الاشتراك بالإنترنت الذي تحدد قيمة اشتراكاته الشركات الصانعة، والممثلة في دول العالم... ولا يكاد بيت يخلو من الإنترنت الذي يسهم بشكل كبير فاعل بالاتصال بالعالم الخارجي، إذ جعل العالم بين يدي المشترك في هذه الخدمة. والجدير بالذكر أن الشركات العالمية المتخصصة بالصناعة الإلكترونية أخذت تتفنن في استحداث بل اختراع أجهزة متطورة جداً تفوق الخيال، وتطلق عليها مسميات مثل: آي فون(IPhone)، وآي باد(IPad)... و(الآيفون) و(البلاكبيري) و(الآيباد) و(الجلكسي نوت) الذين لم يتم تعريبهم إلى اللغة العربية، وغيرهم من أدوات التكنولوجيا التي لاتعد ولا تحصى---

ومن هنا تكمن الخطورة التي دفعتنا في هذا البحث للحديث عنها، في ظل انتشار هذه الأجهزة، وسهولة استخدامها، مع توافر العوامل الداعمة للحصول عليها. ولم تعد الهواتف الذكية وسيلة اتصال فحسب، بل تعدت مهامها الحدود الأساسية لها فصارت تقوم بمهام كثيرة وعظيمة، أغنت صاحبها عن كثير من الأجهزة، منها: الحاسوب، وآلة التصوير (الكاميرا)، والتلغراف، والطابعة، والراديو، والتلفاز... فهي أجهزة متعددة غدت في جهاز واحد- وهذا التطور ساهم إلى حد كبير في وضع حاجز كبير بين ثقافة الأجيال القديمة والحديثة.

<u>وسائل الاتصال المستخدمة لتنمية ثقافة الطفل قديماً وحديثاً:</u>

إنه من الظلم أن نقارن بين وسائل الاتصال القديمة والوسائل الحديثة؛ لأن القديمة لم تكن تتجاوز: القلم والكتاب والمجلة والجريدة والإشارة بالعصا والسبورة والطبشورة وبعض وسائل الإيضاح المتاحة. ولا يمكن الزعم بأن هذه الوسائل كانت تشخص المعاني، وتنقلها نقلاً أميناً، بل كانت مجردة، لا تجسيد فيها، ولا تشخيص. ومع ذلك كانت هذه الوسائل تؤدي غرضها بكل يسر وسهولة وتحقق أهدافها المنشودة. وقد تخرج من خلالها علماء كثر شهد لهم بالتفوق والتميز.

ثم جاءت ثورة التكنولوجيا، وظهرت وسائل الاتصال الحديثة لا سيما الإلكترونية منها، فهي أجهزة ذكية بكل معاني الكلمة، صغيرة الحجم، رخيصة الثمن، سهلة الاستعمال، دقيقة البرامج، تمتاز بصفاء الصورة، ووضوح الصوت، ومحدودية استهلاك الطاقة، وإمكانية إعادة الشحن بأقل التكاليف، وتتوفر في كل مكان مع سهولة الحصول عليها، فألوانها زاهية تناسب الجميع، وأشكالها مختلفة تسر الناظرين, وأغلفتها مزركشة، وأغطيتها لامعة وبراقة جذابة, يتنافس عليها الكبار قبل الصغار... ومع وجود هذه الإيجابيات, أو المغريات، فإننا لا نعدم إيجاد السلبيات التي قد تؤثر على المجتمع بكل مكوناته وطبقاته وفئاته بدرجة خطيرة، ولا شك أن ثقافة الطفل تكتسب من خلال تلك الوسائل التي يتعاطى معها الطفل في مجتمعه، سواء أكانت وسائل اتصال تعليمية أم ترفيهية، ومن أبرز تلك الوسائل المستخدمة قديماً: الأناشيد والألعاب الشعبية، والدمى، ومسارح خيال الظل، وهذه الوسائل كانت تؤثر في ثقافة الأطفال وتنميها وتصقلها. (ياسين، شفاء، أدب الطفل، ص50). أما اليوم فقد تطورت وسائل الاتصال وباتت في متناول أيدي الأطفال، منها:

شبكات "التواصل الاجتماعي" التي هي عبارة عن: مواقع إنترنت تستعمل تقنية (Web2)، تقوم على أساس التواصل الاجتماعي، وتقوم بتقديم فرصة للمنتسبين لها بالتواصل مع أصدقائهم والآخرين عن طريق مشاركة أمور الحياة اليومية وتبادل الآراء، وقد تعددت شبكات التواصل الاجتماعي في الآونة الأخيرة وما زالت في تزايد مستمر، منها: "الفيس بوك"، و"التويتر"، و"الانستقرام"، و"اليوتيوب"، و"فليكر"، و"الدروب بوك"...إلخ، وهي معروفة لدى الجميع ومستعملة بل شائعة.(انظر: صادق، عباس مصطفى الإعلام الجديد،2011م، ص9).

فمواقع التواصل الاجتماعي: "منظومة من الشبكات الإلكترونيّة التي تسمح للمشترك فيها بإنشاء موقع خاص به، ومن ثم ربطه عن طريق نظام اجتماعي إلكتروني مع أعضاء آخرين لديهم الاهتمامات والهوايات نفسها" (راضي، زاهر، استخدام مواقع التواصل الاجتماعي في العالم العربي، 2003، ص23). ومعظمها مجاني، حتى إنه بإمكان أي شخص أن يفتح موقعاً خاصاً به دون عناء بكل يسر وسهولة، ويمكنه في الوقت ذاته التواصل مباشرة مع أشخاص في جميع أنحاء العالم عبر هذه الوسائل، يضاف إلى ذلك كله تلك الأجهزة التي يمكن توظيفها في كل مناحي الحياة حتى التسلية واللعب، من ذلك: "الحواسيب"، و"الآيباد"، و"الهواتف النقالة"، و"البلاستيشن"، و"الإكس بوكس"... ولا شك أن التنافس في صناعة هذه الأجهزة خلق جواً مناسباً للتفوق العلمي الذي لا يمكن إنكاره، ولا يمكن مقارنته بأي عصر من العصور؛ ذلك أن القرن العشرين كما قلنا هو ثورة تكنولوجية حقيقية، ففي كل يوم يجبهنا إنتاج جديد، وصناعة جديدة، واختراع مبهر، يتفوق على أجهزة جيله. ولا يكاد المرء يتقن جيلاً من هذه الأجهزة حتى يجد نفسه أنه لا بد من أن يتقن برامج جديدة للتعرف على الأجهزة التي ظهرت حديثاً. إذاً نحن أمام وسائل تكنولوجيا مهمة في حياتنا، لا يمكننا إنكارها، وعلينا التعامل معها؛ لتحقيق الفائدة المرجوة، وإلا فإن النتائج ستكون سلبية. فإذا كانت النتائج على الكبير هكذا فما بالنا بالطفل؟ إنه لا شك هو الحلقة الأضعف في هذه السلسلة التي سرعان ما تتفكك، والنتائج كارثية. ذلك أنه لا يحسن التعامل معها بحذر، أو يتيقن ما وراءها، أو يستوعب تلك الأخطار المترتبة على سوء استخدامها. وحري بنا أن نشير إلى أن الطفل أمام هذه الأجهزة المتطورة التي لا تقاوم، وفيها كل وسائل الإغراء التي تسيطر عليه، ويمكن أن يقضي وقته كله معها مشدوهاً دون كلل أو ملل. والحقيقة أنّ "عالم الأطفال عالم متغير؛ فهو ممتلئ بوسائل التكنولوجيا الحديثة التي قد لا يستوعبها الكبار، فهؤلاء الأطفال يستخدمون "الأيفون" و"الأيباد" وغيرها من وسائل التقنية الحديثة، فضلاً على الإنترنت في التواصل، فقد سبقت حياتهم حياة من أنجبوهم وسبقوا زمانهم بزمان"- (أديب، منير: التقنية الحديثة والأطفال رغبة الأبناء وخوف الآباء، مجلة اليمامة الإلكترونية، 2011، http://www.yamamahmag.com/)

وهناك نصيب كبير للأطفال من هذه الصناعات، إذ وجدوا في تعدد الفضائيات متنفساً ومتعة إذ بإمكانهم البحث بكل يسر وسهولة عن قنوات تعرض أفلاماً ورسوماً متحركة، شائقة ومتنوعة وجذابة، وقد كان الطفل مستهدفاً، للمصانع التي تفننت بجذب الطفل والسيطرة عليه من خلال تلك الأجهزة التي تحقق طموحه، وتداعب عواطفه، وتجعل من الخيال عنده حقيقة ماثلة بين يديه لا سيما المتمثلة في تلك الهواتف الذكية التي تتمتع بخاصية تحميل: الأفلام والألعاب الإلكترونية عليها، وتصفح الإنترنت، وتطبيقات تمكن من رؤية الرسوم المتحركة، والفيديوهات، وتطبيقات تسهل التواصل الاجتماعي بين الناس.

وقد أكّد الخبراء والمختصون على أنّ الثورة المعلوماتية قد تركت آثاراً اجتماعية ونفسية على شخصية الأطفال والشباب خاصة؛ لأنهم الأكثر إقبالاً على هذه التقنيات، والأكثر تفاعلا معها". (الألوسي، سؤدد فؤاد: العنف ووسائل الإعلام، ص103)-

ويمكن حصر الميزات التي يتحلى بها الإعلام الجديد في: "استبداله الوحدات المادية بالرقمية، وتشبيك عدد غير محدود من الأجهزة مع بعضها البعض, ويلبي الاهتمامات الفردية والاهتمامات العامة, وهي حالة لا يمكن تلبيتها بالإعلام القديم. والميزة الأكثر أهمية, هي أن هذا الإعلام خرج من أسر السلطة إلى أيدي الناس جميعاً". (صادق، عباس مصطفى ، "الإعلام الجديد: دراسة في مداخله النظرية وخصائصه العامة"، 2011م، ص9).

تقييم وسائل الاتصال الثقافية القديمة والحديثة :

الآثار الإيجابية لوسائل الاتصال الحديثة في ثقافة الطفل :

ساعدت وسائل الاتصال الحديثة في تنمية الوعي الثقافي عند الطفل في فئاته العمرية جميعها، إذ نقلت الفكر عنده من المحسوس إلى المجرد... وهذا ما أكده الباحثون في دراساتهم حين قالوا: "يلعب الحاسوب دوراً مهماً في مرحلة رياض

الأطفال؛ لما له من دور في تنمية جميع جوانب النمو لديهم, فهو ينمي الجوانب المعرفية واللغوية والاجتماعية والفنية عند الطفل, وينمي القدرة على التفكير والابتكار, والانتقال من التفكير الملموس إلى التفكير الرمزي, ويكتسب الطفل أسلوب حل المشكلات من خلال ممارسة الأنشطة والألعاب".(العمري، عمر حسين ،برامج الأطفال المحوسبة، 2012،ص39). وأعتقد أن الطفل يستطيع حل الكثير من المشكلات, واستيعاب الكثير من مواقف الكبار, من خلال استخدامه الحاسوب أو الوسائل الاتصال الحديثة التي سبق التعريف بها سابقاً. وقد أكدت الدراسات أن: " الأطفال يمكنهم استخدام الحاسوب بنجاح بعد ثلاث سنوات؛ لأنهم يكونون معدين نمائياً؛ لاكتشاف جهاز الحاسوب, إذ تعمل هذه التكنولوجيا لدى الأطفال على تخيل المفاهيم الصعبة؛ لأنهم يمرون بخبرات قد تحدث على أرض الواقع وتسمح لهم بالابتكار".(العمري، عمر حسين،برامج الأطفال المحوسبة، 2012،ص39). ونحن نؤكد على ما ذهبت إليه تلك الدراسات من أن طفل اليوم لم يعد بحاجة إلى تعليمه أبجديات علم الحاسوب، ولا بحاجة إلى سبر أغوار المفاهيم الصعبة حتى يستوعب ماهية هذا الحاسوب الذي يستخدمه، بل وسائل الاتصال الحديثة، إذ بإمكانه أن يتوصل إلى الحلول المناسبة من خلال مشاهداته، وملاحظاته، واستخداماته، وتجاربه المتكررة، وتمييزه بين الخطأ والصواب الذي يؤدي به إلى بلوغ أهدافه، وتحقيق مراميه. والجدير بالذكر أن تلك الدراسات تشير إلى أن الأطفال يفضلون استخدام الحاسوب مع واحد أو اثنين من زملائهم بدلاً من التعلم بمفردهم, كما أنهم ينخرطون بمستوى عال من التواصل, بشكل متكرر.

ولعل ذلك يعود إلى إظهار: شخصياتهم، وقدراتهم ومقدراتهم، ورغباتهم في التنافس، وإثبات الذات، والتفوق على أقرانهم، ما يرسخ المعلومة في أذهانهم، الأمر الذي يجعلهم يوظفونها في مجالات أخرى على المدى البعيد، مع مستوى عال من الأنشطة اللغوية واللعب والتعاون. وقد ساعدهم على ذلك كله إيجابيات الحاسوب المتمثلة في: تخزين كم هائل من المعلومات والكتب والأفلام والصور على نظامي: الوورد (Word) و(pdf) في الأجهزة مباشرة، أو في الفلاش(Flash memory)، أو في جهاز يعرف بـ: (USP)، وإمكانية عرضها واستخدامها في أي وقت دون حدود.

ومما لا شك فيه أن للتقنيات الحديثة دوراً فاعلاً ومهماً في العملية التعليمية والتربوية، فوسائل الاتصال الحديثة غدت جزءاً لا يتجزأ من العملية التعليمية كوسيلة هادفة في توصيل المعلومات، ويؤكد التربويون على ضرورة إكساب العملية التعليمية أنماطاً جديدة من الحركة والتفاعل في قولهم : "أعط المتعلم شيئاً يفعله أفضل من أن تعطيه شيئاً يتعلمه ". (الدبسي، رضوان، أثر وسائل التقنية في تطوير تعليم العربية، 2002).

إذاً فوسائل الاتصال لها أهمية كبيرة، فهذا مثلاً الإنترنت له استخدامات إيجابية كثيرة لاسيما في الاستخدامات الأساسية في مجال التعليم من مثل: التعليم عن بعد: (Distance Learning)؛ لأن الإنترنت يحقق إمكانية إيجاد فصول بلا جدران ما يمكن الطلاب من متابعة دروسهم على بعد آلاف الأميال من مدارسهم وجامعاتهم. والتعليم المستمر من خلال استخدامه ضمن نطاق التدريس والتواصل مع المدارس.. (الموسوي، موسى جواد، الإعلام الجديد تطور الأداء والوسيلة والوظيفة، 2011. ص36).

أما أبرز أشكال التقنيات الحديثة، فهي الألعاب الإلكترونية والهواتف الذكية، وللنوعين كليهما أثر كبير في تنمية ثقافة الطفل من جوانب عدة، كالفكر والسلوك. ومما لاشك فيه أن معظم الألعاب الإلكترونية متوافرة باللغة الإنجليزية أكثر من اللغة العربية، وهذا يساهم في اكتساب الأطفال بعضاً من اللغة من خلال تفاعلهم مع اللعبة، رغبة منهم في الفوز والنصر بعد إنهائها، وهذا يزيد من محصلة علمهم. بالإضافة إلى ذلك، فإن بعض الألعاب تتطلب تعلم كيفية إنشاء وإدارة عوالم افتراضية تقوم على المتاجرة، وهذا يشجع الأطفال على التعلم الذاتي ويكسبهم رؤية بسيطة عن كيفية سير العالم الحقيقي. كما تساهم الألعاب الإلكترونية في تنمية أفكار الطفل وعقله، ولا سيما الألعاب الاستراتيجية التي تتطلب الدقة والتركيز في حلها، واكتشاف حلول جديدة لإنهاء اللعبة. وهناك أنواع من الألعاب تغرس بعض القيم السلوكية عند الأطفال كالصبر والجلد من أجل الحصول على جائزة افتراضية في نهاية اللعبة، وكذلك ألعاب "الأونلاين" التي تمتاز بخاصية التفاعل مع لاعبين آخرين،من ثقافات ولغات مختلفة ومن دول أخرى، ويعيش الأطفال من خلالها في عالم افتراضي مختلف عن العالم الذي اعتادوا عليه، فيؤدي ذلك إلى تأقلمهم مع هذا العالم الجديد ضمن متغيراته المتعددة ،والبعيدة عن عالمه الحقيقي، فيتعلم سلوكاً جديداً يمارس مع لاعبين آخرين بغرض إنشاء صداقات افتراضية، أو بيع أو شراء لسلع افتراضية

في اللعبة ،أو تكوين فريق قوي تربطه علاقة الاتحاد والعمل الجماعي بروح الفريق الواحد؛ لهزيمة عدو ما، أو خطر ما!

وهناك سؤال مهم يحير الكثيرين وهو: ما سر جذب الألعاب الإلكترونية للأطفال واستحواذها على عقولهم واهتماماتهم؟

نقول: إن الألعاب الإلكترونية تشمل عناصر المغامرة والخيال والاستكشاف، وفرصة عيش تجارب جديدة لا تتوافر في الواقع، وذلك من خلال ضغطة زر واحدة تشغل اللعبة للطفل وتبعده عن الواقع. وهذه العناصر تجذب الأطفال لا سيما صغار السن منهم الذين يتملكهم الفضول، ويرغبون في استكشاف أشياء جديدة غير موجودة في الواقع، وهذا ما تقدمه الألعاب الإلكترونية للأطفال بأصنافها المختلفة. وهناك أيضا عنصر إثبات الذات الذي يحصل عليه الطفل من خلال تحقيق الأهداف المختلفة في الألعاب الإلكترونية من غير الاستعانة بالآخرين من حوله. بالإضافة إلى ذلك، ينجذب الأطفال إلى العوالم التي تصنعها الألعاب الإلكترونية، ذلك أنهم يستطيعون أن يشعروا فيها بأنهم هم المتحكمون بالبيئة التي تقدمها اللعبة، على عكس واقعهم الذي يعاملون فيه كصغار بحسب سنهم ويبقى الكبار هم المتحكمون بهم. وأيضا شملت الألعاب الإلكترونية عنصرين من العناصر التي تجذب الأطفال في عصرنا الحالي وهما: رواية القصص، وجودة الرسوم المتألقة. فاحتواء الألعاب الإلكترونية لمؤثرات سمعية وبصرية وقصص شائقة ترويها للأطفال تجذبهم، كما ينجذب الأطفال عادة إلى القصص الممتعة التي تحكى له من قبل أهله، والرسوم المتحركة التي تعرض على التلفاز بحركاتها وتصويرها الممتع.

لقد أثبت الباحثون أن هناك عدة آثار إيجابية للألعاب الإلكترونية، فترى الباحثة: McGonigal "أن ممارسة الألعاب الإلكترونية عمل مثمر، فهو ينتج عواطف إيجابية، وعلاقات اجتماعية قوية، وشعور بالإنجاز، وفرصة لتطوير القدرة على بناء حس لعمل أعمال مفيدة ومثمرة"(الهدلق، عبدالله بن عبدالعزيز، دراسة في إيجابيات وسلبيات الألعاب الإلكترونية،2011، http://www.alukah.net).

أما الأجهزة الذكية فتشمل تطبيقات كثيرة ومتنوعة، ولاشك أن جيل الهاتف الجوال من عمر (12- 24) سنة يجد في هذا الجهاز وسيلة للتعبير عن حاجاته للصداقات والألفة والحرية والاستقلالية، فتجده حاضراً جسدياً في مكان ما، لكنه في الوقت نفسه يعيش في فضاء يجهل حدود الزمان والمكان، وقد أصبح الجهاز الواحد كافياً؛ لترفيه الطفل لساعات طويلة. وقد بينت دراسة أجريت في الكويت على أطفال بين السن (6 – 12) سنة، أن 28% من الأطفال يقضون أكثر من خمس ساعات يومياً على الأجهزة الذكية.(عبد المعبود، حنان، 25-3-2013جريدة الأنباء الإلكترونية). ويرجع السبب في ذلك أن هناك تطبيقات متنوعة ترفيهية جذابة للأطفال، فهناك تطبيقات مخصصة فقط للتواصل الاجتماعي من مثل: "الإيميل"و "الفيس بوك"، و"تويتر" و"الواتس أب" و"الانستجرام"، وغيره من التطبيقات الأخرى، يستخدمها الأطفال بكثرة للتواصل مع أصدقائهم وأهلهم، ولتبادل الرسائل والتعبير عن اهتماماتهم ونشر آخر الأخبار التي تهمهم، وهذا يساعد على معرفة أخبار العالم والتي عادة ما تعرض في التلفاز ولا يهتم الأطفال بها.

ومن جهة أخرى فإن الدور الذي يلعبه المربي في تعزيز استخدام التقنيات لدى الطفل بات مهماً جداً، وذلك من خلال تفعيل نشاطه غير الهادف إلى نشاط هادف بنَّاء، فقد كرمت مجلة ناشيونال جيوغرافيك العربية مثلاً الطفل: أحمد الظهوري الذي أدى دور البطولة في الفيلم الإماراتي "السلحفاة" في مهرجان كان السينمائي، ما يشير إلى الوعي البيئي الذي غرسته تلك التقنيات لدى الطفل. (انظر: ناشيونال جيوغرافيك العربية، ص130،ديسمبر2012)، و(أبو ظبي للإعلام، المجلد السابع، العدد 27- ديسمبر).

وكذلك الحال في تفعيل دور وسائل الاتصال الحديثة عند الطفل، فقد كرمت هيئة أبو ظبي للسياحة والثقافة ممثلة بمسابقة الإمارات للتصوير الفوتوغرافي في الدورة السابعة المصور السعودي فيصل عبد الله درويش (15) عاماً، بصفته أصغر مصور في المسابقة العالمية (مجلة الراصد الثقافي،العدد 71، دبي، مايو2013).

ويقول، الدكتور، إبراهيم مجدي، أستاذ علم النفس بجامعة عين شمس: من يحرم أبناءه من استخدام وسائل التكنولوجيا الحديثة كمن يحكم عليهم بالموت، فهذه الوسائل التكنولوجية الحديثة بمثابة مضخات حقيقية للحياة، ولا يمكن للإنسان أن يعيش دونها لاسيما الأطفال؛ لأنهم في موضع التنشئة.

وذكر، أن الأطفال قد يتساوون في الذكاء ولكنهم يختلفون في المهارات، وغالباً ما تتولد هذه المهارات من استخدام هذه الوسائل الحديثة، فإن استخدامها يمثل مهارة مضافة للطفل والمراهق تدفع إلى مزيد من التمييز والتقدم،
(أديب، منير: التقنية الحديثة والأطفال رغبة الأبناء وخوف الآباء، مجلة اليمامة الإلكترونية،2011- (/http://www.yamamahmag.com

كما أضافت الدراسة التي أجرتها جامعة لندن للدراسات الاقتصادية لصالح المفوضية الأوربية أن: "كل طفل من بين خمسة أطفال له حساب على الفيس بوك رغم أن القوانين التنظيمية تحدد سن الاستخدام في 13 عاماً". وهذا يدعونا إلى القول: إن شبكات التواصل الاجتماعي أصبحت في السنوات القليلة الماضية جزءاً لا يتجزأ من حياة أطفالنا؛ لأسباب كثيرة، منها: أن الطفل يجد حياة جديدة تختلف عن حياته التقليدية، كما أنه يجد سهولة في إيجاد أصدقاء يتواصل معهم من شتى أنحاء العالم، ما يسمح له بالتحدث معهم في أي وقت يشاء دون أي قيود تمنعه أو وقت، وبعض الأطفال يستخدم شبكات التواصل؛ لتعزيز الثقة بالنفس من خلال نشر أفكارهم وخواطرهم وأشعارهم، ومحاولات لكتاباتهم الأدبية. كما يجد البعض من خلال هذه المواقع طريقة وشكلاً من أشكال تقليد الكبار والفخر بأنفسهم وحضورهم النشط عليها، وعلاوة على هذا فإن الطفل يجد سهولة في استخدام مواقع التواصل الاجتماعي حيث أنها لا تتطلب أي مهارات تقنية.

لشبكات التواصل الاجتماعي ايجابيات كثيرة منها:

- توسع شبكات التواصل الاجتماعي تفكير الطفل وتكسبه الكثير من المعلومات، وتعرفه على ثقافات جديدة.
- تسمح للطفل بتعلم لغات جديدة، وقد تقوي اللغة التي يمتلكها أحياناً أو التي يرغب في أن يتعلمها مثل اللغة الإنجليزية أو الفرنسية.
- تكسب الطفل مهارة استخدام الكمبيوتر والإنترنت ما يفيده في دراسته ومستقبله العلمي والمهني.
- تنمي مهارات أخرى مثل التصوير والتعبير عن الرأي والحوار.
- تعزز ثقة الطفل بنفسه ما تجعله يتفاعل ويتعاون مع أصدقائه في المدرسة من حيث تبادل المعلومات والواجبات والأسئلة.
- شبكات التواصل تنمي وتحسن مهارات القراءة والكتابة والتعبير، وذلك بسبب الدعم الذي سيتلقاه من الآخرين. كما أنها تجعل التعليم أكثر متعة. (خلفان، ضاحي، مخاطر شبكات التواصل على أطفالنا، أغسطس 18, 2011)
- كما " ينصح الخبراء التربويون بعدم منع الأطفال من استخدام مواقع التواصل الاجتماعي لما لها من إيجابيات". (الفيس بوك والتويتر في حياة أطفالنا admin، 2012)-

وتعد المرحلة التي يحصل فيها الطفل على هاتفه الجوال الخاص، علامة واضحة للاستقلالية الموهوبة من طرف أولياء الأمور، ولكنها في الوقت نفسه مظهر للرابط الجلي بين الأبناء والآباء، وهذا "الحبل الرقمي" أو "التطويق الرقمي" حسب المختصين في علم الاجتماع، رمز للانتقال من مرحلة الطفولة إلى مرحلة المراهقة التي تتميز بالسعي إلى بناء علاقات جديدة خارج الدائرة الأسرية. (العباسي، مفيدة، أثر التقنيات الحديثة على العلاقات الاجتماعية والاتصالية للأسرة العربية، 2010، ص16-17)-

إن معرفة الأطفال لهذه الأخبار تعد نقطة إيجابية؛ لأنها تزيد من معلوماتهم، وتثري ثقافتهم، وهناك أيضاً تطبيقات تعليمية على شكل ألعاب، وهي تسهم في توصيل المعلومات للأطفال بشكل ممتع؛ لهم ما يساهم في تثبيت المعلومات لديهم ويجعلهم يعودون إليها مرة أخرى، وتشمل الأجهزة الذكية أيضاً خاصية الولوج إلى الإنترنت، وتصفح المواقع المتعددة، وبسبب انجذاب الأطفال وكثرة استخدامهم للأجهزة الذكية، قامت الوزارات التعليمية في دولتي: (تركيا) و(كوريا الجنوبية) بتبني(الآيباد) وسيلة تعليمية إلى جانب استخدام الكتب المدرسية.(الشقيري، أحمد، فيديو خواطر 8: الحلقة 17)-

كما تؤكد أكاديمية العلوم الفرنسية أن استخدام الأطفال للشاشات الرقمية، يسمح لهم أن يكتشفوا الحس السليم؛ لأنها تطور أماكن معينة من الدماغ، وقد أجري فحص لدماغ الطفل في أثناء اللعب، فظهر أن المنطقة الخلفية من الدماغ تنشط في

أثناء اللعب بشكل تلقائي؛ ما يزيد من قدرات الطفل في الحكم وتقييمه للأشياء،وقد أثبتت الدراسة أن لمس الطفل للشاشة يمكّنه من تقييم الأشياء.(إبراهيم، أسامة، أثر التكنولوجيا على صحة الطفل، مجلة بلسم ،2013)

الآثار السلبية للتقنيات الحديثة في ثقافة الطفل:

نبه باحثون بريطانيون إلى ضرورة تعليم الأطفال مهارات الكتابة بالقلم كما اعتادت الأجيال السابقة وتجنب الاكتفاء بمهارات الطباعة على الأجهزة اللوحية.

وقد شدد العلماء على أن الكتابة بخط اليد أفضل الطرق الفعالة على التعلم وحفظ المعلومات الجديدة ؛لأن خط الحرف بقلم الرصاص أو الحبر أفضل الطرق الفعالة للتعلم وحفظ المعلومات الجديدة ؛لأن خط الحرف بقلم الرصاص أو الحبر يحوث مركز النشاط الشبكي في الدماغ الذي يتولى تصفية ما يحتاجه الدماغ لمعالجة المعلومات. كما اكتشف العلماء أن المواضع المختصة بالتعلم في الدماغ عند الأطفال تتنشط عند الطلب منهم كتابة كلمات معينة منهم أكثر مما يطلب منهم دراستها .وأن الجمل التي يكتبونها بخط اليد أجمل وأكثر تعبيراً من تلك التي يكتبونها أثناء الطباعة. كما اكتشف العلماء أن الكتابة بخط اليد تحافظ على سلامة الدماغ عند الكبر؛ لأنها تستلزم عدة عمليات دماغية مهمة منها: النظر ومهارة الكتابة واستدعاء المعلومات.(تقرير هالة الخيري قناة الجزيرةhttp://www.youtube.com/user/aljazeerachannel)

ومما لاشك فيه أن التقنيات الحديثة سلاح ذو حدين، فالجوانب سلبية واضحة وخطيرة لا سيما فيما يتعلق بالألعاب الإلكترونية والأجهزة الذكية، فهناك دراسة قامت بها جامعة "آيوا" تبين أن الألعاب الإلكترونية لها تأثير سلبي واضح على ثقافة الطفل الاجتماعية والعلمية ،فبينما يزرع الوالدان في عقول أبنائهم قيم السلام والتعاطف بين أفراد المجتمع ،إذ تغير تلك الألعاب مفاهيمه وثقافته في التعاطف مع الآخرين، فيبدأ سلوك الطفل بالتغير، ويظهر ذلك عند لعبه في الألعاب العنيفة من مثل الألعاب الحربية، فيتأثر وعي الطفل دون إدراك منه ببيئة اللعبة والشخصيات التي يلعبها التي غالباً ما تكون قوية وغير مبالية للدمار الذي يحدث حولها بل تسبب هذا الدمار نفسه، فهذا يؤدي إلى تولد العنف واللامبالاة في الأطفال وهدم قيمة التعاطف لديهم (جامعة آيوا، 2010، دراسة تبين أن الألعاب الإلكترونية العنيفة تكون أطفالا عدوانيين) ، وقد يؤدي أيضاً إلى تعلم الأطفال للغة غير مناسبة وسيئة تقليداً منهم للشخصيات التي يلعبونها، لا سيما الأطفال بين السن(6 – 12) سنة الذين لا يزالون في مرحلة عمرية يملؤها الفضول والرغبة في اكتشاف العالم من حولهم وتطبيق الأشياء التي يتعلمونها. كما أن الطفل قد يصبح أنانياً لا يفكر إلا بإشباع رغباته في اللعبة، ولا يرغب بمشاركة الآخرين في اللعب ، فيميل إلى الانطواء والعزلة، وهذا قد يؤخر من نمو الذكاء الاجتماعي وتنمية مهارات التواصل عنده. وأعتقد أن الطفل قد يعتاد على إشباع رغباته بسرعة من خلال اللعبة؛ فيقل الصبر لديه، وقد يصيبه بالتوتر ونوبات الغضب عند خسارته في اللعبة، أو عدم حصوله على الأشياء بسرعة. وهذا النوع من الألعاب يحدث اضطرابات في السلوك، ويؤكد على ذلك الاختصاصي النفسي د.خليل أبو زناد بقوله :"إن الألعاب الإلكترونية تحدث خللاً في سلوك الأطفال؛ لأن الكثير منها تعرض صور عنف ودماء وجرائم قتل، مما "يجعل سلوك الطفل ميالاً إلى العنف والعدوانية والتقليد، وغير ذلك من مظاهر السلوك المكتسبة من هذه المشاهدات المتنوعة".(أبو صبح، منى، الألعاب الإلكترونية خطر على الأطفال وصحتهم وسلوكياتهم، جريدة الغد الإلكترونية12-4-2013،).

وقد تنامى تأثير القنوات الفضائية اليوم على الأطفال بسبب الطبيعة البيولوجية والنفسية للطفل، وبسبب التنافس الشديد بينها على اجتذاب المشاهدين وخصوصاً الأطفال، وهم الفئة الأكثر مشاهدة للتلفزيون، حتى إن الناقد الإيطالي (دكاتا لانو) أطلق عليهم لقب: "عبيد التلفزيون" بعد دراسة أظهرت أن عدداً كبيراً منهم ممن تقلّ أعمارهم عن السادسة عشرة يقضون وقتاً طويلاً من يومهم أمام شاشات التلفزيون، في إيطاليا وبريطانيا وفرنسا واليابان وبلدان أخرى في العالم. فإذا كان بالإمكان سابقاً ولو جزئياً ـ السيطرة على الآثار السلبية التي كانت تنجم عن مشاهدة الأطفال للتلفزيون والحد منها، فإن هذا الأمر أصبح صعباً في عصر الفضائيات. وممّا زاد الأمور سوءاً أن الفضائيات المحلّية والعربية والأجنبية قد اقتحمت علينا بيوتنا دون استئذان، وأصبح يشاهدها الكبار والصغار على السواء، طيلة ساعات اليوم. وبسبب اختلاف التوقيت بين الدول، لم يعد ثمة وقت مخصّص للأطفال. إضافة إلى أن معظم المشاهدين العرب ـ ومنهم الأطفال ـ انصرفوا عن مشاهدة محطاتهم الأرضية غالباً، إلى التجوّل عبر القنوات الأخرى، وقد تركت هذه القنوات آثاراً اجتماعية

وتربويّة ونفسيّة وثقافيّة على المشاهدين، وبشكل خاص على الأطفال. ولعبت دوراً في تنشئة الأطفال وتكوين شخصيتهم، وتحديد طرائق تفكيرهم وأنماط سلوكهم ومستوى ثقافتهم وقدراتهم العقلية ومهاراتهم، وتوجيه مدركاتهم الاجتماعية والحياتية. ولم تكن هذه الآثار إيجابية دائماً، بل كان لها في كثير من الحالات جوانب سلبية، ما جلنا نقول عن "التلفزيون": "مفسديون". فحين بثت البرامج العلمية والتربوية والتوجيهية المدروسة، بشكل منهجي منظّم، قامت بدور مميز في تشكيل الشخصية الثقافية والسلوكية الإيجابية للطفل، فقد أسهمت في توعيته وإرشاده وطوّرت مهاراته، وغرست في نفسه القيم والأفكار التي تنسجم مع مرحلة التغيير التي يمرّ بها المجتمع.

وحين غاب عن هذه الفضائيات الاهتمام المنهجي المنظم بالطفل، وجعلت تبث البرامج التي تتعارض مع ثقافة المجتمع العربي، ولا تتلاءم مع توجهاته الأخلاقية والفكرية والحضارية، فإنها بالتالي تساهم في تخريب ثقافة الطفل وتشويه شخصيته، ووضعته في مرحلة اغتراب، تتزاحم حوله الثقافات المختلفة، وتتقاذفه الأمواج من كل حدب وصوب؛ ما يجعل طفلنا اليوم غالباً، مندفعاً إلى مشاهدة البرامج الغريبة عن بيئته، البعيدة عن محيطه العربي، التي تقدّم له أفكاراً مقولبة في إطار محدد، لا تساعد على نمو البذرة في أرضها الصالحة. ومن جهة أخرى فإن للتقنيات الحديثة أثراً سلبياً كبيراً على **نفسية الطفل**، "فدخول الأجهزة التكنولوجيا في الأسرة رسخ مفاهيم ومعاني الانفراد والانعزالية في الأسرة، حيث أصبح لكل فرد أجهزة خاصة به لا أحد يتعدى على خصوصيته في استخدامها، ما باعد بين أفراد الأسرة وأفقد روح التواصل والترابط (غوييه، سمير، الأجهزة التكنولوجية المتقدمة خطر بين أصابع أطفالنا، جريدة الخليج،21-10-2012)
وقد "اكتشف العلماء مؤخراً أن الوميض المتقطع بسبب المستويات العالية والمتباينة من الإضاءة في الرسوم المتحركة الموجودة في هذه الألعاب يتسبب في حدوث **نوبات من الصرع** لدى الأطفال،،وأن شاشة التلفاز التي يجلسون أمامها لساعات وساعات طويلة تعمل على **إضعاف النظر** وجفاف العين، لديهم ما يضطرون إلى ارتداء النظارة الطبية في وقت مبكر، كما أكدت بعض البحوث العلمية أن هذه الألعاب قد تكون أكثر خطراً من أفلام العنف التلفزيونية أو السينمائية؛ لأنها تتصف بصفة التفاعلية بينها وبين الطفل تتطلب من الطفل أن يتقمص الشخصية العدوانية ليلعبها ويمارسها ويفوز بها ،أضف إلى ذلك ماقد يصيب الأسرة من تباعد بين الأفراد فتفقد روح التواصل والترابط ،مايؤدي إلى إصابة الطفل في المستقبل بمرض التوحد؛ لأنه يجد صعوبة بالغة في التواصل مع من حوله فيصاب باضطرابات في اكتساب مهارات التعلم السلوكي والاجتماعي (غوييه، سمير،الأجهزة التكنولوجية المتقدمة خطر بين أصابع أطفالنا، جريدة الخليج،21-2-2013) والحقيقة التي نراها أمام أعيننا في واقعنا، انغماس أطفالنا في ألعاب التكنولوجيا الحديثة بأنواعها، وانعكاسها السلبي في صورة أمراض سلوكية، حيث "تشير بعض الدراسات أن مشاهدة التلفزيون بنسبة مرتفعة تؤدي إلى ظاهرة (**فرط الحركة**) والتوتر والإثارة التي تلاحظ على الأطفال بعد الانتهاء من مشاهدة التلفاز أو حتى حرمانهم من مشاهدة وإكمال البرنامج المفضل".(الألوسي، سؤدد فؤاد، العنف ووسائل الإعلام، ص104)- ومن خلال مشاهدتي وخبرتي فإني لاحظت أن بعض البرامج التي تبثها وسائل الإعلام تنمي السلوك العدواني لدى الطفل؛ لأنه يرى، فيتأثر، ثم يتفاعل، ثم يرلاغب في التقليد لإثبات الذات.(انظر مزيداً من التفصيل: الموسوي، موسى جواد، الإعلام الجديد تطور الأداء والوسيلة والوظيفة، 2011- ص129)-
ويؤكد تقرير علمي أن كثرة استخدام الأطفال للأجهزة الذكية، وتطبيقات التواصل الاجتماعي قد يؤدي إلى إيثار الأطفال لها وهجر التواصل مع الآخرين مباشرة، وتفضيل التواصل معهم من خلال الرسائل فقط، **فيفقد تواصله مع الآخرين** بشكل مباشر، خاصة مع الأهل. وهذا قد يؤثر على سلوك الطفل فيجعله يميل إلى **العزلة** عن الناس، والعيش في عالم افتراضي ينتهي زمنه مع انقطاع التيار الكهربائي عن الجهاز، وكذلك ابتعاده عن الأنشطة البدنية، فمن هنا يبدأ الطفل بالعيش في الانعزال والسلبية: فعندما يواجه الطفل مشكلة ما ولا يجد أمامه من يعينه ويقف إلى جانبه فيها فإنه يلجأ إلى الانعزال كاستجابة دائمة في وجه المشكلات والصعوبات التي قد لا يجد لها حلاً، أما السلبية فهي نوع من الغضب أو الاحتجاج الصامت الذي ينشأ نتيجة مواجهة الطفل في بيئة لاتشبع حاجاته ودوافعه وتضع الكثير من القيود على حركته وتصرفاته - (زيدان محمد مصطفى، النمو النفسي للطفل والمراهق وأسس الصحة النفسية ،1972، ص281)-
ومن الجوانب السلبية التي قد تعرض حياة أطفالنا للانهيار والضياع، **إضاعة الوقت**: فبمجرد دخول الطفل إلى مواقع يبدأ بتصفح صفحات الإنترنيت، ولا يدرك عدد الساعات التي أضاعها من خلال التعليق على صور أصدقائه، دون أن يجني

أية فائدة له أو لغيره فشبكات التواصل تهدر الكثير من وقت المستخدمين دون فائدة تذكر. استنادًا على استبيان طرح في "الفيسبوك" وجد أن عدداً كبيراً من طلاب المدارس يقضون أكثر من 10-12 ساعة في التصفح فقط (لمى علي، أذار 2013، العدد85)كما أن كثيراً من مستخدمي شبكات التواصل يفضلون انتحال شخصيات وأسماء لا تمد لهم بصله. وهذا يؤدي إلى تعرف الطفل على أصدقاء غير حقيقين قد يؤثرون عليه بسلوكيات سلبية كالكذب، والتلفظ بألفاظ بذيئة.

وأما آبرز المخاطر التي قد يتعرض لها الأطفال في أثناء تعاملهم مع "الفيسبوك"، فيمكن إيرادها بالآتي:

أولاً: **احتمال الخديعة** والوقوع في شرك المجرمين وشياطين الإنس، الأمر الذي قد يوقع الطفل في حبائل الأشرار. وإذا كان الاستغلال الجنسي من أبرز المخاطر في هذا السياق، فهنالك مخاطر أخرى مثل استغلال الطفل لإفشاء معلومات تضر بخصوصية العائلات والأفراد.

ثانياً: **خطر الإدمان**، فالأمر يبدأ بساعة أو نحو ذلك يومياً؛ لينتهي بجلوس الطفل أمام الفيسبوك ربما لعشر ساعات، وقد يتعود الطفل على الفيسبوك حتى إنه لا يستطيع العيش من دونه.

ثالثاً: **تعزيز التفكك الأسري** عن طريق شعور الطفل بأن مجتمع الفيسبوك يعوضه عن العائلة الحقيقية، وشيئاً فشيئاً يتقوى انتماء الطفل لعلاقاته الافتراضية على حساب علاقاته الواقعية.

رابعاً: **مخاطر صحية** مثل سمنة الأطفال الناتجة عن الجلوس الطويل أمام الكمبيوتر.

خامساً: **الخمول الدراسي** حيث يستحوذ الفيسبوك وأخواته على النصيب الأكبر من الوقت الذي كان من المفترض تخصيصه للمذاكرة.

سادساً: من المخاطر الاجتماعية **تقويض مفهوم الصداقة**.

سابعاً: هنالك خطر ثقافي يتمثل في **التغريب المبكر**؛ لأن الطفل ينسلخ عن ثقافته وتراثه شيئاً فشيئاً نتيجة تعرضه المكثف لثقافات وسلوكيات ومواقف غريبة.

ثامناً: ومن أهم المخاطر الثقافية التي يتعرض لها الطفل والتي تعد صلب دراستنا في البحث : **ضعف اللغة العربية:** فلغة الطفل تتعرض إلى التشويه يوماً بعد يوم، ولا سيما في ظل انتشار ما يسمى بـ "العربيزي" أي كتابة اللغة العربية بحروف إنجليزية. فقد أصبح جيل اليوم يستخدم اللغة الإنجليزية أكثر من اللغة العربية، وأيضا يستخدم مختصرات للغة والذي يسمى: (عرب بيزي)، وتعني أنه يكتب بأحرف إنجليزية، ولكنه يقرؤها وكأنها كلمات عربية. فقد تحولت حروف اللغة العربية إلى رموز وأرقام وباتت الحاء "7" والهمزة "2" والعين "3" وكلمة حوار تكتب "7war" وكلمة حمد تكتب "7amad"...إلخ. كما أن الطفل قد يكتب عبارات فيها أخطاء نحوية مثل كلمة "أنتِ" يكتبها الطفل كما يلفظها "انتي". ومن الملاحظ أن قلة من الأطفال العرب هم الذين يستخدمون اللغة العربية في تفاعلهم عبر فيسبوك.

وهناك دراسة أجريت في الكويت توكد أن نسبة 73% من الأطفال " توقفوا تماماً عن ممارسة الرياضة والأنشطة الدينية والهوايات الأخرى بعد اقتناء هذه الأجهزة الإلكتروني ".(عبدالمعبود، حنان، جريدة الأنباء الإلكترونية، 25-3-2013). كما أن **التحصيل الدراسي** للطفل قد يقل بسبب الإدمان على هذه الأجهزة، بالإضافة إلى أن سهولة التواصل التي تميز هذه الأجهزة قد يؤدي إلي تعرف الطفل إلى أشخاص غرباء غير صالحين أو رفقاء سوء يستميلونه ويستهدفونه، فيوصلونه إلى الانحراف، ثم إن سهولة استخدام وسائل الاتصال الحديثة ، وتصفح الشبكة العنكبوتية من خلال الأجهزة الذكية ،قد يؤدي إلى تعرف الطفل إلى أخبار ومواضيع لا تناسب عمره. يضاف إلى ذلك كله **استخدام الطفل للهجات العامية التي** يكتسبها من خلال تواصله مع الآخرين **من مثل:** (keefek 7abibti كيفك حبيبتي) و(2ms srna el mol أمس سرنا المول) و(5ala9 mabe خلص مابي).

والجدير بالذكر أن هناك خطر محدق بأطفالنا يتمثل في وقوعهم في فخ الجرائم الإلكترونية،فقد باتت تلك الجرائم أشد خطراً على أطفالنا من الجرائم الحسية، وغالباً ما يكون هدف هذه الجرائم هي سرقة أو قرصنة المعلومات الموجودة في الأجهزة، أو تهدف إلى ابتزاز الأشخاص من خلال معلوماتهم المخزنة على أجهزتهم المسروقة، وللأسف فإن الجرائم الإلكترونية جديدة لم يتناولها القانون الجنائي التقليدي، وبالتالي لا توجد نصوص في قانون العقوبات تتعلق بالجريمة الإلكترونية؛ فينتج عن ذلك صعوبة في إصدار أحكام بحق مرتكبيها.(*www.mop.gov.jo/arabic*_: مديرية تكنولوجيا المعلومات، قسم نظم المعلومات).

ينتقل الأطفال والمراهقون في هذه السن إلى ما يسمى بالحياة الافتراضية «Second life» عبر الشبكة المعلوماتية، التي يصنع فيها الإنسان عالماً بمواصفات أخرى، ويدخله إلى عالم الخيال، وهو ما يجعل بعض الأطفال يرتكبون بعض التصرفات غير الأخلاقية، دون أن يكونوا على دراية بأن هذه الممارسات تمثل ما يطلق عليه جرائم تقنية المعلومات. (سلوم، رامي، بلاغات جرائم الكترونية ضد الأطفال، الإمارات اليوم، أبريل 2012).

إن التحديات التي تواجه الطفل في مواكبة كل جديد تدفعه إلى البحث والتعلم؛ لتوافر البرامج التعليمية، والتطبيقات الترفيهية التي يمكن الوصول إليها بسهولة، دون تكلفة أو عناء، بل إن الطفل يتحين الفرصة للتعامل معها، ويظل على موعد معها، إذ يبقى على أعصابه، بل يصدر منه تصرفات غريبة إلى أن تحقق رغبته في الوصول إليها... ولا شك هناك سلبيات ومحاذير ومخاطر كثيرة، نذكر منها:

1) انشغاله لساعات أمام هذه الوسائل التي تغريه بتقدمها العلمي وتطورها الهائل...ما يجعله ينصرف عن واجباته العلمية (المدرسية) والعائلية...
2) قد تغريه بالدخول إلى مواقع تضر بتنشئته، ولا يمكن لأهله السيطرة عليه وعلى تلك الوسائل التي قد لا يدركون مخاطرها بسبب فقر ثقافتهم بها, أو انشغالهم بهموم الحياة، أو عدم مقدرتهم على المراقبة الدائمة لأي سبب من الأسباب... وهناك بعض الأطفال لديهم مقدرة كبيرة على الاحتيال على المواقع المحظورة للوصول إليها بأي ثمن، ولا شك أنها مضرة قطعاً؛ لأن الدولة منعتها بعد أن لمست واكتشفت العواقب الوخيمة الناتجة عنها.
3) تأثير المواقع السلبي عليه من حيث المعلومات والصور التي تزوده بها، أو الأشخاص الذين يتم الاتصال بهم، أو التسهيلات التي توصله إلى المحرمات بكل أنواعها...
4) قد يلجأ إلى الحيلة أو الكذب على أهله للهروب من الاتصال بهم أو الجلوس معهم من أجل الانزواء بنفسه؛ للدخول إلى المواقع التي أدمن عليها...
5) قد ينشأ لديه معجم لغوي جديد أو مفردات جديدة هجينة أو غريبة، وكذلك التصرفات الغربية التي لا تمت بصلة إلى أخلاقيات بيئته... لعدم السيطرة أو إمكانية وجود ضوابط تحكم الطفل الذي لا يرغب في الاحتكام إليها إن وجدت بسبب المغريات التي توفر له كل سبل الانحراف أو الخروج عن العادات والتقاليد والأخلاق بل الدين...
6) تعد اللغة همزة الوصل بين الطفل والمجتمع المحيط به أو المجتمعات التي يتواصل معها دون حدود عبر وسائل الاتصال الحديثة التي تتطلب مفردات أو ألفاظ أو عادات مكتسبة تخالف بيئته من جميع النواحي؛ للتواصل مع عالمه الخارجي الذي يجد فيه المتنفس المريح، والخلوة الذاتية، والفسحة التعبيرية دون وجود ضوابط رادعة لتلك التصرفات.
7) قد تكون وسائل الاتصال الحديثة سبباً في ضياع كثير من مفردات اللغة العربية عند الطفل بسبب وجود الحوافز التي تدفعه إلى استعمال لغة أخرى تكون سبيلاً سهلاً للتواصل مع الآخرين.
8) قد يكون من يتواصل معه الطفل على مستوى ثقافي متدن، ما يدفع ذلك الطفل إلى مجاراته بتلك الثقافة المتدنية، واللغة الضعيفة، والتراكيب الهشة، والمفردات الهابطة، ذلك أن الطفل ابن بيئته، ويتأثر بما يحيط به، ويؤثر بمن يتواصل معه، سلباً وإيجاباً...
9) إن وسائل الاتصال الحديثة جعلت الفضاء مفتوحاً أمام الناس جميعاً، ولا يحتاج المرء عند استخدام هذه الوسائل إلى ترخيص أو دفع رسوم باهظة؛ لامتلاك موقع أو صفحة إلكترونية يكتب فيها ما يشاء، ويدون ما يريد دون حسيب أو رقيب، وفي بعضها غث وبعضها الآخر الثمين، وقد نجد بعضها مزيجاً بين الغث والثمين بقصد أو غير قصد، وكل ذلك له أثر فاعل في أن يأخذ الطفل المعلومة من هذه المواقع دون أن يعي صحة هذه المعلومات.
10) لا شك أن الطفل في العصر الحديث أكثر انفتاحاً، ووعياً بما يدور حوله، وأكثر اتصالاً بوسائل الاتصال، ومعرفة بالتكنولوجيا، وجمع المعلومات، إذ جعلت هذه الوسائل العالم من حوله كأنه لعبة يلهو بها، يتعامل بها كيفما شاء ومتى شاء، يغرف منها ما يريد، يتأثر بها، بل تسيطر على مداركه دون إمكانية للتأثير بها... فهي مجتمعه المؤثر لا المتأثر، تعطي إن سلباً أو إيجاباً دون أن تأخذ، ويخضع ذلك كله إلى أهداف وغايات تلك الشركة التي أعدت تلك البرامج وبثتها عبر تلك الوسائل...
11) التنمر الالكتروني, وهو جزء من الجرائم الإلكترونية التي سبق توضيحها وشرحها.

12) كشف الأسرار والاطلاع عليها من خلال (**Hackers**) قراصنة الأجهزة الإلكترونية، أو صانعي البرامج الذين يملكون تلك الأقراص العملاقة والبرامج التي تحفظ كل المعلومات.

حلول ومقترحات للحد من آثار التقنيات الحديثة في ثقافة الطفل:

وللحد من آثار التقنيات الحديثة على الأطفال، ينبغي على الأسرة اتخاذ إجراءات معينة ووضع قيود مهمة لاستخدام هذه التقنيات الحديثة، لا سيما الألعاب الإلكترونية والأجهزة الذكية، فيمكن للأهل تحديد أوقات محددة للأطفال يسمحون لهم باستخدام هذه التقنيات، ويتابعونهم بعد ذلك كيف فيقللون من التأثير الذي قد يتعرض الأطفال لهذه الأجهزة وهذا يعتمد على مدى الثقة وقوة العلاقة بين الطفل وأهله وشخصية الطفل نفسه. وأعتقد أنه من الضروري جداً أن يقوم الأهل بوضع برامج أو تطبيقات؛ لمراقبة نشاطات أطفالهم عند قيامهم باستخدام هذه التقنيات، أو وضع قيود على البرامج أو التطبيقات التي يستطيع الأطفال استخدامها، وهناك عدة برامج مراقبة متوفراة للحواسيب والأنواع المختلفة من الأجهزة الذكية والتي يمكن للأهل تحميلها واستخدامها. ويستطيع الأهل أيضا أن يجعلوا استخدام الألعاب الإلكترونية والأجهزة الذكية دافعاً مرغباً، أو مكافأة قيمة تمنح بعد أداء الطفل لواجباته المدرسية كاملة أو تنفيذه لأمر ما، وعلى الأهل أيضاً وضع قراراتهم وقوانينهم الخاصة وعدم مجاراة العصر في شراء وسائل الاتصال الحديثة، التي قد تؤثر على أطفالهم سلباً.

ثم إن على الأهل ضرورة إعطاء الأطفال فرصة لمعايشة البيئة والمجتمع من حولهم، مع رقابة صارمة؛ لأنه لا يمكن إجبار الأطفال على العيش بجيل الآباء والأمهات، وتبني تقاليدهم وأعرافهم وتصرفاتهم كما هي دون التأثر بالمجتمع المعاش وما فيه من تطور ووسائل...

وهناك إشارات مهمة ذكرها بعض الباحثين، بقوله: "وحري بنا أن نشير إلى قضية مهمة، تتجلى في أن الإيجابيات والسلبيات متلازمات، فبقدر ما نجد من أهمية لهذه التقنيات الحديثة بما تقدمه من عملية نقل للمعلومات المختلفة بشتى أنواعها بلا حدود، فكرياً ووجدانياً وحياتياً، فإننا نجد لها وجهاً سلبياً لا يمكن تجاهله بأي شكل من الأشكال، وهو ذلك الوجه القبيح الشرير الذي يستخدم بطريقة خاطئة"-(مناع،هاشم صالح ، استخدام طلبة الجامعة اللغة العربية بحروف لاتينية في أساليب التواصل الحديثة،2013،ص12"-

استراتيجيات الحد من ظاهرة تعلق الأطفال بالشاشات الرقمية:

1) لا بد من تربية الأطفال على حسن استخدام هذه الوسائل؛ ليصبحوا فاعلين حقيقيين في مستوى اختياراتهم ومشاركاتهم ومساهماتهم، ودعم قدرات الأسرة للقيام في مجال تأطير وحماية أفرادها. والإسراع ما أمكن في التدخل؛ لوضع استراتيجية متكاملة للحد من تعلق الأطفال بها، والابتعاد مأأمكن من الحلول الجاهزة أو غير المجدية كالمنع والزجر؛ لتيسير الاستفادة من هذه الوسائل .
2) إن التربية على حسن استخدام وسائل الاتصال الحديثة، يعد كابحاً ووسيلة مهمة لحماية الأطفال من أخطار تحدق بهم، في وقت يبقى الطفل فيه ساعات أمام شاشة الحاسوب أو التلفزة ما يستوجب تدريبه على قواعد حسن التعامل مع المحتويات.
3) كما أن الواجب يدعونا إلى: العمل الجاد من أجل إيجاد الطرق الأفضل؛ لبناء علاقة واعية ونشطة بين الأسرة ووسائل الإعلام الحديثة في ظل التعاون مع الهيئات والمنظمات والجمعيات المختصة.
4) إحداث آليات لمتابعة الظواهر الناشئة عن تأثير التقنيات الحديثة.
5) وضع برامج تكون متكاملة تُدرَس في المؤسسات التربوية تهدف إلى تربية الناشئة على التعامل المسؤول مع تقنيات الإعلام الحديثة، وتمكنه من استغلال المنتوج الإعلامي بأسلوب الناقد لا المتقبل السلبي.

(انظر مزيداً من التفصيل: سمارة، مصطفى، الجريمة الإلكترونية، أخطر الجرائم الإلكترونية وطرق الوقاية منها، ،مجلة المعلوماتية العدد 29-شهر تموز 2008)

وسائل تحجيم سلبيات الإنترنت :كالوسائل البحثية التوعوية ومنها:

أ- إعداد البحوث والدراسات حول ظاهرة الإنترنت وتبعاتها؛ ذلك لأن المكتبات العربية تعاني فقراً شديداً في هذا المجال مع عظم أهميته.

ب- بث الوعي بين أفراد المجتمع بأخطار الإنترنت؛ وذلك من خلال التصرف المدروس ،ضمن وسائل الإعلام والمدارس والمساجد...

ت- صياغة معايير أخلاقية لاستخدام الإنترنت، كأن توضع بعض المعايير المستمدة من الدين الإسلامي كآداب الحوار وتجنب الفضول،واحترام الخصوصية وغيرها مما حث أو حذر منه الدين الإسلامي الحنيف. قال تعالى: (ولاتقف ما ليس لك به علم إن السمع والبصر والفؤاد كل أولئك كان عنه مسؤولاً).(الإسراء 36)- ولا بد من تنشئة الأطفال بما يتماشى مع تلك القيم الإسلامية الرفيعة .

ث- وهناك بعض الوسائل التقنية تفيد في تأمين شبكة الإنترنت: كالأجهزة التي تدعم أمن الإنترنت، وعلى الجهات المختصة كهيئة المواصفات والمقاييس أن تؤمن للحواسيب في البلاد العربية أعلى التقنيات في المجال الأمني.

ج- أما البرمجيات فهناك الكثيرمن وسائل الحماية البرمجية: كتقنيات منع وصول المستخدمين إلى مصادر السلبيات وتقنية حماية تعاملات المستخدمين. (الآثار الأمنية لاستخدام الشباب للإنترنت، ص122)

وللحد من آثار الألعاب الإلكترونية على الأطفال، أرى:

أولاً: أنه على الأسرة اتخاذ إجراءات معينة ووضع قيود في استخدام هذه الألعاب الإلكترونية، من مثل عدم شراء كل لعبة يطلبها الطفل والبحث عن تقييمها ومحتواها قبل شراء اللعبة. ويمكن للأهل أيضاً تحديد أوقات محددة للأطفال يسمحون لهم باللعب وفي نفس الوقت يراقبون أطفالهم والألعاب التي يلعبونها، وإن استطاع الأهل مشاركة أطفالهم في اللعب فهذا سيعزز العلاقة بين الطفل وأهله وينميها لأنهم يشاركون اهتمامات طفلهم. وهناك حل آخر وهو قيام الأهل بوضع برامج لمراقبة نشاطات أطفالهم عند اللعب بالألعاب الإلكترونية، ولا سيما تلك التي تكون موجودة على الحاسب الآلي، فالخطر عند استخدام الحاسوب هو مدى سهولة الحصول على ألعاب مجانية ذات الأصناف المختلفة التي تناسب الكبار والتي قد لا تكون مناسبة للأطفال. وهناك عدة برامج مراقبة متوافرة للحواسيب والتي يمكن للأهل تحميلها واستخدامها من مثل "Spectorsoft's eBlaster" و "ScreenRetriever". فالبرنامج الأول يقوم بتسجيل البرامج التي تم تشغيلها، ومتى فتحت، وعدد الساعات التي تم فيها استخدامها، والبرامج التي تم تحميلها من الإنترنت ومشاركتها، ويمكن إرسال تقرير مفصل عن ذلك إلى إيميل الأهل. أما البرنامج الثاني، فيسمح للأهل بمراقبة حاسوب الطفل مباشرة عن طريق حاسوب آخر، وبذلك يعرف الأهل ما يقوم به الطفل في الوقت الحالي، وكذلك فيه خاصية تسجيل على هيئة فيديو، وذلك يمكن الأهل من النظر إلى الفيديو في وقت آخر. بالإضافة إلى ذلك، يستطيع الأهل تشغيل الرقابة الأبوية في كلا أنظمة تشغيل الألعاب الإلكترونية، وهما: "البلاستيشين"، و"الاكس بوكس".(الرقابة الأبوية على الألعاب | esrb & pegi | شرح وتقرير، تم الاسترجاع 06-01-2014)

ثانياً: وأعتقد أن على الوالدين تثقيف أبنائهم بالنصائح وبقواعد السلامة وكيفية المحافظة على خصوصيتهم في أثناء وجودهم في هذه المواقع مثل: أن يتأكد الطفل من شخصية من يتحاور معه، وعدم منحه البريد الإلكتروني، وكلمة السر الخاصة به لأحد من أصدقائه حتى لا تنشر معلوماته الشخصية بطريقة لا تليق به.

ثالثاً: يجب على الأبوين الانضمام إلى المجتمع الذي يتعامل مع طفلهما عبر فيسبوك أو أي موقع آخر، وأن يتفاعلا ما أمكن مع ذلك المجتمع ليكونا قريبين من طفلهما حتى في المجتمع الافتراضي.

رابعاً: للأهل دور مهم في تقنين استخدام الإنترنت من قبل الأطفال، وذلك يتأتى من خلال الاتفاق على قواعد سلوك عامة في البيت، تتضمن عدد الساعات التي يمكن تخصيصها للإنترنت والتلفزيون... إلخ. كما تتضمن وضع حد أقصى للسهر بالنسبة للأطفال بما يسمح لهم بالنوم لساعات كافية. ومن الضروري إشراك الأطفال في النقاش المفضي لوضع تلك القواعد بدلاً من فرضها عليهم.

خامساً: يجب أن ينتبه الأهل إلى تنويع أنشطة الأطفال، وذلك عبر تشجيعهم على القراءة، وتمكينهم من ممارسة الرياضة، وأخذهم إلى الحدائق العامة، وتعريفهم إلى أطفال آخرين من الأقارب وأصدقاء العائلة.

سادساً: على الأهل تحصين أطفالهم ثقافياً ودينياً بكل الوسائل الودية الممكنة، وتحذيرهم من مخاطر الاندفاع في التعامل مع أشخاص غير معروفين بالكامل.

سابعاً: يجب على الأب والأم التقرب من أطفالهما أكثر فأكثر، وفتح نقاشات عائلية حول مختلف الأمور العصرية التي تواجه الجميع، ويشدد الخبراء على أهمية أحاديث المائدة باعتبارها المناسبة التي تجمع أفراد العائلة معاً لأكثر من مرة في اليوم.

مقترحات لحماية الأطفال من الجرائم الإلكترونية :

إن مسؤولية وقاية الأطفال من الوقوع في خطر الجرائم الإلكترونية عبر وسائل الاتصال المختلفة، حمل كبير يقع على عاتق المنزل في المقام الأول، من خلال اتخاذ الوالدين إجراءات تكفل وقاية الطفل، وذلك من خلال : تأمين أجهزة حاسب يستخدمها الأطفال لمنع المخترقين من جهة، مع عدم السماح للطفل بالدخول في مواقع مشبوهة في أثناء استخدام التقنيات المتوافرة في بعض المواقع، كما هو حال موقع "يوتيوب"، إذ إنه مزود بنظام أمان ومراقبة أبوية، أو من خلال استخدام برامج تمنع الطفل من دخول بعض المواقع المحتوية على مواد غير مرغوبة، مع ضرورة تربية الطفل على استخدام "النت" وغيره من وسائل التقنية بطريقة تتوافق مع دينه وقيمه ومبادئه وعاداته وتقاليده، مع عدم إغفال دور الوسائل الإعلامية والمدرسة والمسجد في تكثيف الجهود التوعوية؛ لتعزيز دور الأسرة في هذا الجانب.

كما لابد من توعية الأطفال بأهمية عدم ذكر أي معلومات شخصية أو أسمائهم الحقيقية أو أرقام هواتفهم وعناوينهم أو حتى عنوان البريد الإلكتروني لأي شخص على الشبكة دون إذن الوالدين.

وفي ما يلي محاذير يجب على الأهل تجنبها في هذا السياق:

أولاً: المنع الكامل من استخدام الإنترنت أو مواقع التواصل الاجتماعي، فالمنع يؤدي إلى النقيض وفق قاعدة "كل ممنوع مرغوب". وإذا كان ترك الأمور على الغارب (الحرية الكاملة) أمراً سلبياً فإن التقييد الكامل هو أمر سلبي أيضاً. والخياران يمثلان حالة متطرفة.

ثانياً: استخدام الوسائل العنيفة؛ لجعل الطفل يمتثل للتعليمات، والبديل الأمثل هو الحوار والتفاهم. ومن المهم معرفة أن العنف لا يؤدي إلى نتيجة في مثل هذه الحالات، بل يؤدي إلى النقيض أيضاً.

ثالثاً: الرقابة المباشرة التي تجعل الطفل يشعر بالحصار والضغط، والبديل هو الرقابة الذكية التي تتأتى من المشاركة والنقاش واشتراك الوالدين في الموقع نفسه... إلخ.

وأخيراً، الصورة ليست قاتمة تماماً، وهنالك بالفعل إيجابيات لا بد من الإشارة إليها لتعامل الأطفال مع مواقع التواصل الاجتماعي، ومنها: **أولاً:** توسيع مدارك الطفل وتفتيح عقله على تجارب الآخرين وثقافاتهم.

ثانياً: التفاعل مع الأقران وزملاء الدراسة وتبادل المعلومات المدرسية كالواجبات والأسئلة إلخ.

ثالثا: الترابط والتواصل مع الأقارب عبر المسافات والحدود في مختلف بقاع العالم.

ما الإرشادات التي يجب على الأهل تقديمها لأطفالهم الذين يستخدمون شبكات التواصل؟

في سياق الدور التربوي الذي يقوم به الأهل، يجب عليهم تذكير الطفل دائماً بأن عليه القيام بالآتي:

أولاً: لا تفش معلومات خاصة أو عائلية لأي كان في سياق أحاديثك مع أصدقاء الفيسبوك. ولا تستخدم اسمك الكامل، كما لا تذكر اسم مدرستك ومكان سكنك... إلخ.

ثانياً: أبلغ عن أي تصرف مشبوه أو تهديد أو طلب غير معتاد من أي شخص على النت.

ثالثاً: لا تتعامل مع الغرباء سواء بالبريد الإلكتروني أو بالمحادثة الفورية أو الفيديو، ولا تقبل صداقة شخص إلا إذا عرفت أن لديه مبرر قوي ليكون ضمن شبكة علاقاتك.

رابعاً: عند التسجيل في مواقع التواصل الاجتماعي يجب إبقاء البيانات الشخصية سرية؛ لكي لا يطلع عليها المستغلون، ومن هذه المعلومات رقم الهاتف، والبريد الإلكتروني.

وفي اعتقادي أن تشجيع الطفل على القيام بنشاطات خارجية تتضمن الحركة والتواصل مع أطفال آخرين في العمر نفسه مهم جداً؛ لأن أغلب الأطفال يحبون الحركة، ولديهم طاقات يحتاجون لتفريغها ضمن نشاطات خارجية، كالرياضة واللعب في الحدائق. ويمكن تشجيع الطفل أيضاً على ممارسة الهوايات المفيدة التي لا تتعلق بالتقنيات الحديثة، كقراءة الكتب وحفظ القرآن الكريم، والقيام بالرياضات المختلفة كالسباحة ولعب الكرة، وغيرها من الهوايات الأخرى.ولا يمنع توظيف تلك التقنيات وتفعيلها ضمن أنشطة حركية وعملية، كالمسرح والتمثيل واللعب .

الـخـاتـمـة :

والحقيقة أني ومن خلال البحث وجدت أن القضية أكبر من أن تلم بها سطور أو صفحات، فهي قضية تستدعي التوسع والبحث والدراسة الميدانية؛ لمحاولة معرفة المشكلة، والإلمام بها من سائر جوانبها، ومحاولة وضع حلول مناسبة قبل أن تصبح وباء لا يمكن محاصرته... ولا يجوز دراسة هذه القضية بمعزل عن الحالات: السياسية والاجتماعية والاقتصادية

والثقافية والمالية والعلمية والدينية... ولا بد من إخضاعها لكل ما يتصل بها من أحوال وأسباب ودوافع ومؤثرات، ودراستها دراسة ميدانية بعمل مشترك بين مختلف التخصصات، ولا مانع أن يشترك فيها خبراء من جنسيات أخرى...

وقد بينا في بحثنا كثيراً من القضايا التي بينا فيها الإيجابيات والسلبيات، ووضعناها في الميزان، وحكمنا عليها من خلال موازنة عادلة، ثم وضعنا الحلول المناسبة ما أمكن من وجهة نظرنا ونظر الخبراء والباحثين... ولا بد من أن تتضمن الخاتمة أهم النتائج التي توصل إليها البحث، وكذلك التوصيات...

نـتـائـج الـبـحث:

فبعد هذه الجولة في موضوع: "أثر وسائل الاتصال الحديثة في التنمية الثقافية عند الطفل" نقول: إن الطفل هو الأساس الذي سيقوم عليه المجتمع، وهو الباني له والمطور، وهو الذي سيكون الحامي للمجتمع من الفساد والرذيلة، ولذلك فإننا حريصون على عرض بعض النتائج على النحو الآتي:

1) لا يجوز أن نحكم حكماً مطلقاً على وسائل الاتصال الحديثة بأنها خطرة ومؤثرة في الأطفال، ولذلك لا بد من إبعاد الطفل عنها بأي شكل كان. ففيها الجانب الإيجابي، وكذلك فيها الجانب السلبي. ولا شك أن إيجابياتها أكثر من سلبياتها.
2) إعطاء الأطفال فرصة لمعرفة كل ما هو جديد، بحدود، على ألا تؤدي إلى تأثير سلبي، وعلينا أن نشجعهم على استخدام هذه الوسائل شريطة هدف واضح، وغاية منشودة.
3) عدم إجبارهم على منهج معين دون السماح لهم بالانخراط في الحياة العامة التي تقوم على استخدام وسائل الاتصال الحديثة. يروى عن الخليفة علي بن أبي طالب رضي الله عنه قوله: "لا تقسروا أولادكم على آدابكم فإنهم مخلوقون لزمان غير زمانكم".
4) إن وسائل الاتصال الحديثة لها جانب سلبي يسهم في تفكك الأسرة بل الحياة الاجتماعية برمتها، بسبب انشغال الأهل بها، وعدم إعطاء الطفل حقوقه وحرمانه منها، ومراقبته، ما ينتج عنه الضياع، واستخدام تلك الأجهزة بطريقة سلبية خاطئة كردة فعل على حرمان الطفل من حقوقه. وبذلك بدلاً من أن تكون هذه الأجهزة مفيدة فإنها كون ضارة.
5) لا بد من مراقبة الأطفال عند استخدام الوسائل الاتصال الحديثة، وفحصها عند شرائها، والتأكد من مناسبتها للفئات العمرية المستهدفة، ولا يترك له الحبل على الغارب.
6) إن الطفل الذي يستخدم وسائل الاتصال الحديثة يكون أكثر ثقافة من غيره، وأكثر حفظاً، وأكثر عمقاً، وأكثر تفكيراً، وأكثر تعاملاً مع المناهج الحديثة.
7) لابد من التوجيه الصائب والمستمر للأطفال، ومراقبتهم والجلوس معهم عند استخدامهم المواقع، وتحديد الوقت الملائم للاستخدام، ووضع الإنترنت في مكان تواجد العائلة كلها، وتحديد مدة معينة للجلوس أمام تلك التقنيات كالتلفاز أو الحاسب الآلي،أو الألعاب الالكترونية ...

تـوصيـات:

1) ضرورة وجود قنوات حكومية، تقف منافسة للقنوات الخاصة التي تبث سمومها بدسم البرامج المغرية للأطفال، ذلك أن تلك القنوات تضطر إلى ذلك؛ لتغطية نفقاتها. ويمكن أن تسهم الشركات والمؤسسات الخيرية ورجال الأعمال والأفراد بدعم القنوات التي تهدف إلى التعليم والتثقيف والإرشاد والنصح، لا سيما فيما يتعلق بحياة الطفل، خاصة الثقافية والتعليمية منها.
2) مراقبة البرامج والإشراف عليها إشرافاً تاماً من قبل المسؤولين، والسيطرة عليها في الفضاء، قبل وصولها إلى الأطفال، أو حجبها؛ لأن الطفل لم يعد ساذجاً متخبطاً أمام هذه التكنولوجيا دائمة التطور، فهو متابع جيد، يعرف كيف يحتال على الحجب والمنع من أجل الوصول إلى تلك البرامج والمواقع الهدامة؛ لإرضاء ذاته، ونزوات نفسه، التي لم يعد الأهل قادرين على السيطرة عليها، في ظل هذه العولمة، وتوافر الأجهزة الكفيلة بالإفساد، لا سيما في مجال: العنف والجنس والسرقة والتدخين والمخدرات والمغامرات وإهدار الوقت...

3) خلق أجواء نقية وصافية ومريحة، وتهيئة البيئات المناسبة الدينية والتعليمية والاجتماعية والصحية... التي تنشئ الطفل على أسس سليمة قادرة على تنميته بشكل صحي من جميع النواحي، يضمن له عدم الانحراف، في ظل المحافظة على التقاليد والعادات التي تدعو إلى مكارم الأخلاق، وبناء مجتمع فاضل.
4) تشجيعه على استخدام وسائل الاتصال الحديثة بحدود دون أن تؤثر سلباً على حياته في جميع مناحيها، ثم توعيته للتمييز بين ما هو مفيد وخطر؛ ليأخذ الأول، ويتجنب الآخر، كما لابد من توعية الطفل بمخاطر هذه الوسائل، وتحذيره من الإفشاء بأسراره، حتى لا يكون عرضة للتهديد،أو التنمر الإلكتروني .
5) إيجاد الوسائل والطرق الكفيلة بتنظيم أوقات الطفل؛ لإبعاده عن تلك الأجهزة، ولو بشكل متقطع، وإعطائه البدائل؛ فإن لم تشغله بالمفيد شغل نفسه بغير ذلك. فالطفل يجلس أمام جهاز أصم، لكنه أقوى منه، يستطيع أن يسيطر على بعض حواسه، كالسمع والبصر، ويعطل الحواس الأخرى، وهذا كله يستنفذ طاقات الطفل، ويوقف التفاعل والتعامل مع البيئة المحيطة به، والأخطر من هذا كله عدم وجود تفاعل عاطفي أو إنساني بينه وبين الجهاز الذي يتعامل معه، على الرغم من أنه يحاول أن يألفه، ويجعله صديقاً وبنكاً معلوماتياً، حافظاً لأسراره. ويذكر بعض المدونين أن الطفل المواظب على متابعة التلفاز معرض للسمنة وخمول الأعضاء، وتتقلص الطاقات الخيالية والإبداعية لديه، وتقل آفاق أحلامه التي تثيرها المطالعة المركزة. كما يساعد التلفاز في اكتشاف بعض العاهات السمعية والبصرية عند الطفل، ويساعد في تفاقمها.
6) أوصي الآباء والمدرسين بمحاولة شغل أوقات أبنائهم بما يجذبهم وينفعهم، ويعود بالخير عليهم وعلى أمتهم.
7) وأختم التوصيات بتوصية مثالية تتجلى في رأيي بـ: قيام الأسرة بتربية الأطفال منذ صغرهم على أسس الإسلام والأخلاق الحميدة، والتمييز بين الخطأ والصواب، فينشأ الطفل تنشئة سليمة. كما أنه من الضروري توطيد العلاقة بين الطفل وأهله ومنح الطفل فرصاً كثيرة لسؤال الأهل والتحدث معهم فيما يشاء، ومن الضروري أيضاً إنشاء بيئة مراقبة للطفل دون أن يعلم بها، فالطفل بطبيعته يتملكه الفضول؛ فيسوقه ذلك إلى الخطأ، فمسؤولية الأهل توجيه الطفل وإرشاده قبل أن يقع في الخطأ، ولا يمكن للأهل أن يعلموا ذلك إلا إن أخبرهم الطفل بنشاطاته أو راقبوا ما يفعله؛ لذا فالحل الأمثل يكمن في ثلاثة: التنشئة الصحيحة، وتوطيد العلاقة والثقة بين الطفل وأهله، والمراقبة السليمة.

بعض المصادر والمراجع

1) القرآن الكريم .
2) الألوسي، سؤدد فؤاد العنف ووسائل الإعلام،دار أسامة، عمان الأردن2012.
3) الدبسي، رضوان، أثر وسائل التقنية في تطوير تعليم العربية، أبحاث لغوية،جمعية حماية اللغة العربية، ط1،الإمارات العربية المتحدة،الشارقة 2002.
4) زيدان، محمد مصطفى، النمو النفسي للطفل والمراهق وأسس الصحة النفسية، ط1، 1972.
5) صادق، عباس مصطفى، الإعلام الجديد: دراسة في مداخله النظرية وخصائصه العامة، البوابة العربية لعلوم الإعلام والاتصال،عمان 2011.
6) صادق، عباس مصطفى،الإعلام الجديد: المفاهيم والوسائل والتطبيقات، دار الشروق، عمان 2008.
7) عبد الرزاق، انتصار، والساموك، صفد، إشراف الموسوي، موسى جواد، الإعلام الجديد تطور الأداء والوسيلة والوظيفة،سلسلة مكتبة الإعلام والمجتمع، الكتاب الأول،2011.
8) العمري، عمر حسين، وبني دومي، حسن علي، برامج الأطفال المحوسبة، تكنولوجيا التعليم، جامعة مؤتة، ط1، عمان 2012.